

(الاتجاه الراديكالي في العلاقات الدولية المعاصرة في مواجهة الليبرالية والواقعية)

م. محمد صابر كريم (*)

المقدمة:

تتميز العلاقات الدولية في عصرنا الحالي، بوجود عدم التكافؤ والهوة العميقة في العلاقات الدولية الذي تجسدها دول متقدمة ودول متاخرة ، اي وجود دول تتمتع بتقدم وتطور اقتصادي كبير ودول تعاني من وجود اقتصادات متخلفة و ضعيفة، الاول ومن خلال امتلاكها للامكانيات الاقتصادية الكبيرة، وقيادتها للتقدم والتطور التكنولوجي والثورة العلمية الجبارة، تهيمن على الثاني في اقتصاداتها وسياساتها وحتى ثقافاتنا و امنها و... الخ. عرفت الدول الداخلة في النموذج الاول بالدول او القوى الامبريالية المهيمنة، وانظمتها بالانظمة الرأسمالية القائمة على المبادئ والافكار الليبرالية والدول الواقعة في النموذج الثاني بالدول المتخلفة او السائرة في اتجاه النمو، بالنسبة للذين حققوا نوعا من التقدم الصناعي والتكنولوجي، وعلى الرغم من اظهار المفكرين والمنظرين المدافعين عن النموذج الاول في الحقل العلاقات الدولية والسياسة الدولية، بأن وجود هذا الواقع اللامتكافي في امكانات و مستويات الدول في المجتمع الدولي المعاصر، والتي انعكست على واقع العلاقات الدولية، ترجع الى اسباب اخرى لا تدخل ضمن ماتعبرها المنظرون الراديكاليون كاسباب وعوامل حقيقية لتلك اللامساواتية واللاعدالتية في العلاقات الدولية، والتي انتجت الطابع اللامتكافي هذا، الا ان محاولاتنا تلك لم تفلح ولم تتمكن من اخفاء هذه السمة البارزة للعلاقات الدولية، حتى من قبل منظرين ومفكرين من الاتجاهات التي تتمسك وتقوم على الافكار والفلسفة الداعمة للنظام الرأسمالي العالمي.

ونظرا لاهمية هذا الموضوع في العلاقات الدولية المعاصرة، وسيادة هذا الواقع المكون لجزء كبير من العلاقات بين الدول في هذه المرحلة التي تمر بها العلاقات الدولية، والتي شكلت حقلا مميذا للدراسة والبحث لدى بعض منظرين و باحثي مادة العلاقات الدولية

(*) كلية العلوم السياسية، جامعة المستنصرية.

والذين يتمسكون بالفكر الماركسي منهجا خاصا بهم لدراسة العلاقات الدولية، وجدت دراسة هذا الموضوع والقضايا المرتبطة بها في اطار هذا البحث، لتناول ابرز مايقوم عليه اراء و افكار منظري هذا الاتجاه، ومن ثم اهم جوانب حوارهم مع كل من المدرسة الواقعية والليبرالية.

اشكالية البحث

تمثل الاشكالية الرئيسية لهذا البحث في اسئلة رئيسية عدة، منها ماهاهل يتمكن الاتجاه الراديكالي من تبني المفاهيم والمبادئ الرئيسية والجوهرية للفكر الماركسي، في تحليلها وتنظيرها للعلاقات الدولية، وبالتالي جعل تلك المفاهيم والمبادئ كاداة فكرية فعالة في الدفاع عن توجهاتها وتنظيراتها تلك؟ ومن ثم هل تصلح الادوات الفكرية والنظرية لهذا الاتجاه ومدارسها المختلفة، في ان يكون حقلها خاصا بها على صعيد العلاقات الدولية، ياذ تتمكن من مواجهة المفاهيم والمبادئ التي تقوم عليها كل من الاتجاهين الرئيسيين الاخرين في العلاقات الدولية، اي الليبرالية والواقعية الجديدة؟.

فرضية البحث

تقوم الفرضية الرئيسية لهذا البحث في انّ القضايا والمسائل التي يتبناها الاتجاه الراديكالي، و لاسيما قضايا الصراع الطبقي ومفاهيم التخلف والتنمية، والتي هي من المفاهيم والمبادئ الاساسية للفكر الماركسي، لها حضورها الحيوي والنشط في ساحة العلاقات الدولية، ياذ تمكن اصحاب الاتجاه الراديكالي من تبنيها والاخذ بها كادوات ووسائل للتنظير و التحليل في العلاقات الدولية، ومن ثم جعل تلك المفاهيم والمبادئ كادوات واليات نظرية وفكرية حيوية و واقعية لاثبات صحة توجهاتها و تنظيراتها في حقل العلاقات الدولية، في مواجهة افكار وتنظيرات كل من الليبرالية والواقعية الجديدة.

منهجية البحث

لقد اعتمدت في كتابة هذا البحث على منهجين اساسيين، الاول هو المنهج التاريخي كاداة و طريقة علمية لتقييم الوقائع و المعلومات التاريخية وتوظيفها علميا في خدمة فرضية البحث الاساسية، والمنهج الثاني هو منهج التحليل السياسي كطريقة و وسيلة

علمية لمعرفة واستكشاف المعطيات و الحقائق التي كانت تقف وراء فلسفة الاتجاه الراديكالي للتنظير في العلاقات الدولية.

هيكلية البحث

تناولت البحث من خلال تقسيمه الى ثلاث مباحث رئيسية، الاول يتناول مداخل مفاهيمية رئيسية للاتجاه الراديكالي، وذلك في مطلبين اثنين، الاول يبحث في مبداء الصراع الطبقي، والثاني يتناول في مفهوم التخلف والتنمية، اما المبحث الثاني فهو يبحث في القضايا الرئيسية لمواجهة الراديكالية مع الليبرالية والواقعية الجديدة، وذلك من خلال مطلبين، المطلب الاول يتناول دور الصراعات الطبقيه في حراك الراديكالية مع الليبرالية والواقعية الجديدة، والمطلب الثاني يتناول التنمية كمحور رئيسي لمواجهة الراديكالية والليبرالية، اما المبحث الثالث فيحمل عنوان دور المقاربات الفكرية الجديدة في دعم اطروحات الاتجاه الراديكالي، ويضم مطلبين اساسيين، الاول المقاربات الفكرية لدى كل من الراديكالية والليبرالية والواقعية الجديدة، واما المطلب الثاني فإنه يبحث فياهما المقاربات الفكرية المعاصرة للاتجاه الراديكالي.

المبحث الاول: مداخل مفاهيمية رئيسية للاتجاه الراديكالي

لقد تمكنا الفكر الماركسي، او كما تطلق عليها الفلسفة الشيوعية، من الدخول في مجال العلاقات الدولية كاتجاه مستقل للتحليل والتنظير في المحاور والمستويات المختلفة لمادة العلاقات الدولية من خلال الاتجاه الراديكالي، وهذاتاتي بمعنى ان المفاهيم والمبادئ الرئيسية والجوهرية لهذا الفكر، سيما مبادئ الصراع الطبقي والهيمنة الاقتصادية، ومفاهيم التخلف والتنمية، تشكل او بالاحرى تحتل جزءا حيويا ومهما من بني وهيكल القضايا والمسائل الرئيسية في العلاقات بين دول عالم المعاصر، عليه ولاهمية هذه المبادئ والمفاهيم وجدنا من الضروري تناولها في مبحث خاص، وذلك من خلال المطلبين التاليين:-

١- المطلب الاول: في مبداء الصراع الطبقي

٢- المطلب الثاني: في مفهوم التخلف والتنمية

المطلب الاول: في مبداء الصراع الطبقي

يقوم الفكر الماركسي وفي تحليله لواقع الصراعات الاجتماعية وعلى مر التاريخ البشري، على مبدأ اساسيه هو مبدأ الصراع الطبقي، اذ انطلق كل من (ماركس وانجلز) من مقولتهما الاساسية " ان تاريخ المجتمعات التي وجدت حتى الان هو في الاصل تاريخ الصراعات الطبقيه"^(١).

لقد اتخذ العديد من المفكرين والمنظرين وعلماء علم السياسة المعاصرين، من هذا المبدأ اساساً جوهرياً للتحليل والتنظير في القضايا والمسائل المترتبة بموضوع الحياة السياسية والعمليات والظواهر الفاعلة فيها، اذ نرى (مورس دوفرجه) وعند بحثه للعلاقة التي ادت الى تبلور ونشأة معادلة منطقية تتكون من التقدم التقني والثورة الصناعية ومن ثم النزاعات السياسية^(٢) الحديثة والمعاصرة، نراه يرجع اساس هذه المعادلة الى مبدأ الصراع الطبقي، وذلك في المخطوطة التالية "التكنيك (القوى المنتجة) اساليب الانتاج، ونظام التملك، الطبقات الاجتماعية، صراع الطبقات، النزاعات السياسية،... فالتكنيك الصناعي وُلد اسلوب الانتاج ونظام التملك الرأسمالي، وقام صراع بين البرجوازية والبروليتاريا ونشأة الدولة الديمقراطية الغربية"^(٣).

وبفضل ذلك التقدم المذهل والجبار للعلم والتقنية وما تمخض عنهما من ثورة صناعية عظيمة التي اظهرت لدينا ذلك النظام في واقع العملية الانتاجية في المجتمعات المتقدمة في اوربوا الغربية والتي باتت تعرف بالنظام الرأسمالي، هذا النظام الذي كان لدى (كارل ماركس) يقوم على "التطور الملموس الذي جرى على اساس تطور ما للقوى الانتاجية سماه^(٤) التكوّن الاقتصادي الاجتماعي، وهذا التكوّن الاقتصادي الاجتماعي تكشف العمل الفعال - السياسي، الاداري، القانوني، والايدولوجي، لكبار الافراد، لكن

(١) جون سكوت، علم الاجتماع المفاهيم الاساسية، محمد عثمان، ط٢، الشبكة العربية للابحاث والنشر، بيروت، ٢٠١٣، ص٢٥٣.

(٢) وفقاً للفكر الماركسي يطلق على هذه النزاعات مفهوم (الصراع الطبقي).

(٣) موريس دوفرجه، مدخل الى علم السياسة، ترجمة: جمال الاتاسي وسامي الدروي، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٩، ص٧٧، ٧٨.

(٤) في الاشارة الى (كارل ماركس).

في ظروف وحدود الزمان والمكان، اي لطريقة الانتاج وللطبقة"^(٥). عليه ونظرا لأنّ التقنية تشكل احد العناصر الجوهرية في تطور و صيرورة هذاالنظام، فإنّ ذلك يشكل اساس الاشكالية التي تحمله في ذاتها، اذ"عندما تظهر الات جديدة، فإنّها تؤثر على العلاقات الاجتماعية، وهذا يتطلب توزيعا للقوى البشرية التي تحيها، و من جهة اخرى، تاتي متطلبات التقنية هذه بلاانقطاع بنتائج غير متوقعة، تفلت من الوعي، منالارادة، من رقابة الناس"^(٦).

في الارتباط بموضوع دور التقدم التقني في الصراعات الناشئة على سطح العلاقات الدولية، سيما في القرن العشرين، نجد(موريس دوفرجه)يقول(يتفق الغريون والماركسيون على الاعتراف بانّ للتقدم التكنيكي تأثيرا ولبيا في المجتمع عامة، وفي الصراعات السياسية خاصة لكنهم لا يتفقون على الية هذاالتاثير ولا على اتجاهه فبعضهم يرى انّ التقدم التكنيكي ينشئ عالما لايناسب حاجات الانسان ورغباته، وانّ هذا يفاقم التوترات والنزاعات والصراعات فالحروب و الثورات و دكتاتوريات القرن العشرين وانبعث المذابح والتعذيب وانتشار العنف، كل ذلك هو ثمرة هذاالتعارض الاساسي بين غرائز الانسان وبين العالم المصطنع الذي يسجنه فيه التكنيك)^(٧).

كما يؤكد(ايمانويل ولدرستين - Immanuel Wallerstein) بانّ"الرأسمالية هي وليدة عدم المساواة في العالم، أنّها بحاجة لكي تنمو وتنتشر، الى تواطؤ الاقتصاد الدولي، اي سلبية المنظمة الاستبدادية ذات المجال المتجاوز الحد بكل تأكيدم تكن لتستطيع الاندفاع بهذاالزخم وسط مجال اقتصادي محدود"^(٨).

فقد اصبحت الرأسمالية وبسبب قيامها على المُلْكِيَّة الخاصة لوسائل الانتاج مصدرا للصراعات والنزاعات المؤدية الى بروز نخبة حاكمة متسلطة تقوم باستغلال أكثرية

^(٥) هنري لوفيفر، الماركسية، ترجمة : حبيب نصرالله نصرالله، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٢، ص٨٥، ٨٦.

^(٦) المرجع نفسه، ص٧٩.

^(٧) موريس دوفرجه، المرجع السابق، ص٨٣، ٨٤.

^(٨) نقلعن: فرناندو ديل، ديناميكية الرأسمالية، ترجمة: شفيق محسن، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ٢٠٠٨، ص٧٧، ٧٨.

مجردة من تملك تلك الوسائل، ولهذا تبقى كل محاولات في هذا النظام للتقليل من شان الآثار المُدمِّرة لتلك النزاعات غير المجدية، ذلك لأنَّ "تملك ادوات الانتاج يظل فيها اساس امتيازات وراثية ضخمة تبقى على صراع الطبقات، وما من شيء غير ازالة التملك الخاص يمكن ان يرد نزاعات الطبقات الى ايسر شكل من اشكالها"^(٩).

عند دراسة اهم ماتتضمنها الاراء والنظريات بصدد واقع العلاقات الدولية، من الضروري الاشارة الى حقيقة اساسية فيما يتعلق بالاصلا للفلسفي والفكري للاتجاهالراديكالي - اي الفلسفة الماركسية،، وتتمثل هذه الحقيقة في ائتحيلات (كارل ماركس) حول الرأسمالية وكما يرى البعض، تقوم على مجموعة من المقولات الفلسفية العامة، تتمحور اغلبها حول نظرتة للتاريخ الاجتماعي، اذ يرى ان هذا التاريخ لا يتعدى كونه حركة مستمرة وفي اتجاه واحد لتحقيق مزيد من التقدم والانعناق الانساني، وان اي تحول اجتماعي في التاريخ انما يتم من خلال اليات الصراعات الطبقية داخل المجتمع^(١٠).

وبصدد مفهوم (الصراع الطبقي) والذي يشكل احد الفرضيات الاساسية لدى الراديكاليين، والتي تشكل على الصعيد الايديولوجي احد المحاور المواجهة الرئيسية بينها وبين الواقعيين و الليبراليين، الا اننا نجد ان كل من الراديكاليين والواقعيين يلتقيان، او يتقاسمون وجهات نظر مشتركة حول هذا الموضوع، وعلى هذا هناك من يؤكد على ان "مثل الواقعيين يعتبر الراديكاليون الدولة الفاعل الاهم في الشؤون العالمية، ولكن يركزون في الوقت نفسه على صراع المصالح بين الطبقات الاجتماعية، فالطبقات تتصارع من اجل السيطرة على السياسات الدولة داخل البلاد، والحكومات لاتبحث عن المصالح القومية المجردة، وانما تبحث بشكل اساسي عن مصالح المهيمنة على سياسات الدولة"^(١١).

ولهذا وعند التمسك بالفرضية التي تقول بانَّ "الروابطالدولية تقوم هي ايضا على التناقضات الطبقية تسمح لنا بدراسة العلاقات الدولية من اذان السياسة الخارجية لبلد

^(٩) موريس دوفرجه، المرجع السابق، ص ٨٣.

^(١٠) محمد حمشي، الاتجاه الماركسي للتفسير في العلاقات الدولية، ص ١٠٩. بحث منشور على الموقع

ما مرتبط بصراع الطبقات الموجود داخله، وهذا الصراع هو الذي يوجه سلوكه الدولي اي السياسة الخارجية، بذلك لا تكون السياسة العالمية سوى استمرار للسياسة الوطنية، باعتبار ان اطراف اللعبة الدولية هم مالكو الراسمال للذين يخنفون وراء الدولة^(١٢).

فتاريخيا هناك اكثر من ادلة ومؤشر تؤكد وتثبت هذه الحقيقة، وفي الوقت نفسه فقد تمثلت احد الدعائم الفكرية للرايكياليين في تنظيرهم وتحليلهم لواقع العلاقات الدولية والسياسة الدولية في المرحلة التي صعدت فيها الطبقة الرأسمالية كطبقة مهيمنة على السلطة السياسية في اكثر من الدولة من الدول التي تحولت فيما بعد، او بالاحرى قادت الحملات الاستعمارية ضد البلدان التي اصبحت تعرف بالبلدان النامية.

عليه هذا الاتجاه يعاني سيما في الحقبة المابعد الحرب الباردة نوعا من الجمود والتدني في الاسهامات في حقل التنظير للعلاقات الدولية، اذ انها وبناءا على تلك الحقيقة، فانالاتجاه الرايكيالي، ينظر الى واقع العلاقات الدولية كانعكاس لتلكالصراع بين الطبقات الاجتماعية هذا ما يؤكد مقولة ماركس الشهيرة في البيان الشيوعي "فان نضال البروليتاريا نضالا مشتركا يشمل الاقطار المتمدنة علنا لاقبل، هو احد الشروط الاولية لتحررها"^(١٣)، هذا الاساس الفلسفي يشكل جوهر التحليل لواقع العلاقات الدولية لدى الاتجاه الرايكيالي، ولذلك نرى هذاالاتجاه يركز على ان الدول لا تمثل الفاعلين الوحيديين في العلاقات الدولية، كما ذهبت اليه الواقعية والليبرالية على نحو اقل تشددا، بل هناك الطبقات الاجتماعية والمواقع التي تحتلها ضمن البنية الشاملة للنظام الرأسمالي العالمي، وهي (المواقع) التي من شانها تحديد نماذج التفاعل بين الوحدات الدولية وانماط الهيمنة والسيطرة السائدة فيما بينها"^(١٤).

المطلب الثاني: في مفهوم التخلف والتنمية

بما ان مفهومي التنمية والتطور هما من المفاهيم الاساسية التي تقوم عليها الخطوط الاساسية لمواجهة هذه المدرسة مع كل من الواقعية والليبرالية، اذ ان السؤالا الاساسي

(١٢) د. محمد منذر، المرجع السابق، ص ٢٧.

(١٣) ماركس، انجلز، بيان الحزب الشيوعي، بلا الطبعة وتاريخ الطبع، دار التقدم، موسكو، ص ٦٥.

(١٤) محمد حمشي، المرجع السابق، ص ١٣.

والجوهرية للنظرية الراديكالية يمكن تلخيصه في: لماذا اكثرية دول العالم الثالث في امريكا اللاتينية واسيا وافريقيا لا تستطيعان تنمو وتطور؟^(١٥)، لذلك نرى من الضروري تناول هذين المفهومين بشيء من التفصيل من وجهة نظر اهم مفكري ومنظري الاتجاه الماركسي المعاصر.

بما ان معظم مفكري ومنظري المدرسة الراديكالية يربطون مفهوم التنمية بمفهوم (التخلف)، لذلك سنقوم بتناول الاول من خلال الثاني، في الحقيقة هناك تعريف عديدة لمفهوم التخلف، فنجد (د. سعد زهران) يعرفه بانه (مجموعة من اعراض القصور في البنيات الاقتصادية، والعجز الملحوظ في اقتصادياتها على النهوض بمهامها)^{١٦}. وفيما يتعلق بمفهوم النامي، والدولة النامية، فهناك من يعرفه "انأي دولة تظل معتبرة عموماً من الدول النامية اذا فشلت في التلاؤم مع النموذج المصاغ حسب المفاهيم الغربية عن السياسة والمجتمع. واذا افتقرت هذه الدولة الى الاحزاب السياسية الديمقراطية والمنتافسة، والى مستوى معيشة عال، فانها تظل دولة نامية"^(١٧).

ان اغلب منظري النموذج الراديكالي يؤمنون بان النظام الرأسمالي العالمي هي التي تقف وراء هذه الظاهرة التي تعاني منها البلدان المتخلفة او التابعة، وفي هذا فانهم يعتقدون بان السبب الحقيقي من وراء عدم تحقيق النمو في اغلب هذه البلدان يكمن في السياسات الاستعمارية للبلدان المركز او الدول الرأسمالية المتقدمة، وبهذا الصدد يقول (اندرية جندر فرانك): (ان سيطرة الرأسمالية الاحتكارية والامبريالية في البلدان المتقدمة، والتخلف الاجتماعي والاقتصادي في البلدان النامية مرتبطان بشكل وثيق، بل انهما لا يمثلا أكثر من جانبيين مختلفين لما هو في الواقع مشكلة عالمية)^(١٨)، لا بل وحتى في يومنا هذا والذي اخذ ما يعرف بالليبرالية الجديدة (the new

^(١٥) د. انور محمد فرج، نظرية الواقعية في العلاقات الدولية، مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية، السلمانية، ٢٠٠٧، ص ٤٢٠.

^(١٦) سمير امين، سعد زهران وآخرون، العالم الثالث يفكر لنفسه، ط ١، دار ابن رشد للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١، ص ٦٦.

^(١٧) باتريك دانلوفي، بريندا ناونليري، نظريات الدولة سياسة الديمقراطية الليبرالية، ت، نافع ايوب لبس، مركز الخليج للابحاث، الامارات العربية المتحدة، ١٩٩٩، ص ٣٣٧.

^(١٨) بول سوزي، ليوهيو برمان وآخرون، الامبريالية وقضايا التطور الاقتصادي في البلدان المتخلفة، ط ٢، دار ابن خلدون، بيروت، ١٩٨٠، ص ٤١.

liberalism) تحل مكان المدرسة الليبرالية التقليدية تؤكد حقيقة كون السياسات الاقتصادية للنظام الرأسمالي العالمي هي المسبب الرئيسي لبقاء الدول النامية عاجزة عن تحقيق التنمية الحقيقية لمجتمعاتها، وبهذا الصدد هناك من يذهب بالقول الى ان التملك الخارجي للمصادر الوطنية والصناعات باتت ينظر اليها كشكل جديد للاقتصاد الامبريالي/ الليبرالي الجديد، والذي هو افرازات لتلك الاساليب من نهب المصادر الدول النامية لتلك الاشكال من التعاون المتعدد القوميات^(١٩).

بخلاف المعالجات والحلول التي قدمها منظرو المدرسة الليبرالية في ان الحل الوحيد لمشكلة التخلف التي تعاني منها المجتمعات المتخلفة يكمن في ربطهم اقتصاديا بالبلدان المتقدمة صناعيا، الا ان اصحاب الاتجاه الراديكالي يؤكدون عكس ذلك، اذ انهم ويرغم تاثرهم بتامل وضعية دول الاطراف - البلدان المتخلفة - في الفترة التي اعقبت مباشرة ادماجه في السوق الرأسمالي العالمي، لكن في الواقع ظهر لهم عدة حقائق اساسية كنتيجة مترتبة على عملية الادماج تلك، وهذه الحقائق في نظرهم بمثابة اهم مميزات تلك الحقبة، وتتجسد في الاتي^(٢٠):-

١) زيادة الانتاجية في بعض القطاعات الاساسية للاقتصاديات المحلية، وخاصة في قطاعات انتاج المواد الاولية التي تصدر الى البلاد الرأسمالية المصنعة، التي تحتل مركز النظام الرأسمالي العالمي - المتروبول - .

٢) تحديث انماط الاستهلاك، بنشر انواع كثيرة من المنتجات الجديدة.

٣) لم يصحب اي تقدم تكنولوجي يذكر في الاقتصاديات التابعة، ولا بنقل اساليب انتاج جديدة لها، اثر العمليتين الواردين في (٢٠١)، بل ان زيادة الانتاجية المذكورة في (١) كانت ناتجة عن عملية تكثيف بسيطة لاستغلال الايدي العاملة والموارد الطبيعية الاولية.

٤) ظلت اشاعة انماط الاستهلاك الجديدة محصورة في حدود السلع المصنعة المستوردة بلاد المتروبول.

^(١٩) www.Yuotub.be/h fgwryi E9M.15/MARS/2009.Neo-liberalism: The ideology behind Contemporary battle 4cry.

^(٢٠) سمير امين، سعد زهران واخرون، المرجع السابق، ص ٦٦، ٦٧.

المبحث الثاني: القضايا الرئيسية لمواجهة الراديكالية مع الليبرالية والواقعية الجديدة

لقد طفت على سطح العلاقات الدولية، سيما المعاصرة منها، محاور وقضايا تشكل تجسيدا حيا للمبادئ والمفاهيم التي تبنتها الفكر الماركسي في تحليله لواقع الحياة السياسية في المجتمع الانساني. اذ برزت قضايا ومساائل الصراعات الاجتماعية، ذيا لمحتوى الطبقي، وكذلك مسائل التنمية والتخلف، كقضايا فاعلة ومؤثرة في هذه العلاقات في العديد من مساحاتها، وفي فترات زمنية مترابطة ومستمرة، ياذ جعلت العديد من مفكري و منظري الاتجاه الراديكالي تدخلونها محط انظارهم ومادة حية للتحليلاتهم و ابحاثهم في تنازلهم لمادة العلاقات الدولية. ولذلك وجدت من الضروري بحث هذه القضايا والمسائل في مبحث مستقل، ومن خلال المطلبين التاليين:-

المطلب الاول: دور الصراعات الطبقية في حراك الراديكالية مع الليبرالية والواقعية الجديدة

المطلب الثاني: التنمية كمحور رئيسي لمواجهة الراديكالية والليبرالية
المطلب الاول: دور الصراعات الطبقية في حراك الراديكالية مع الليبرالية والواقعية الجديدة

انَّ اغلب منظري ومفكري المدرسة الراديكالية يرون بانَّ السبب الحقيقي من وراء عدم تحقيق النمو في البلدان المتخلفة يكمن في السياسات الاحتكارية - الكولونيالية لبلدان المركز او الدول الرأسمالية المتقدمة، وبهذا الصدد نجد (اندرية جندر فرانك) تقول (انَّ سيطرة الرأسمالية الاحتكارية والامبريالية في البلدان المتقدمة، والتخلف الاجتماعي والاقتصادي في البلدان النامية، مرتبطان بشكل وثيق، بل أنَّهما لا يمثلا أكثر من جانبين مختلفين لما هو في الواقع مشكلة عالمية)^(٢١)، وهناك من يذهب في الاتجاه نفسه و التفكير عينه، بصدد هذه النقطة الجوهرية، عندما يرى بانَّ الطبقة البرجوازية في

(٢١) نقلاً عن : بول سوزي، ليوهيو برمان واخرون، المرجع السابق، ص ٤١ .

الدول المتقدمة صناعياً، أخذوا يطرحون الدولة جانبا على صعيد العلاقات الدولية، سيما العلاقات الاقتصادية، وذلك من خلال تاسيسهم للعديد من الشركات الاستثمارية الكبرى التي بدأت تستحوذ على اغلب عمليات الاستثمار والتجارة العالمية^(٢٢)، كل هذه الحقائق المرتبطة بواقع تأثير ودور العامل الطبقي في الصراع الدولي، والعلاقات الدولية خاصة، تدفع بـ(جوزيف كاميليري) في كتابه (ازمة الحضارة)، ان يقول (انّ تزايد قوة وهيمنة الشركات المتعددة الجنسيات دفع بميزان القوة في العالم الى ان يتحرك على نحو ثابت لمصلحة هذه الشركات في الوقت الذي تنجرد فيه الدولة تدريجياً من سلطانها في ممارسة الحكم)^(٢٣).

في الحقيقة لا يمكن البحث في موضوع العلاقة بين الراديكالية والواقعية دون معرفة عدة حقائق اساسية وجوهريّة تخص الاتجاه الواقعي، ومن اهم هذه الحقائق "انّ القوى الكبرى فاعلة وتستطيع البرهنة على هيبتها، بمعنى أنّها قادرة على المغامرة في مشاريع امبريالية القوة هي الهدف الاول للسياسة الدولية، والدول تناضل من اجل بقائها وتوسعها، وتكفي باتباع سياسة عقلانية تقوم على متابعة المصلحة الوطنية"^{٢٤}. والحقيقة الثانية تلخص في "انّ الهيمنة الفكرية للنموذج الواقعي هي في نهاية المطاف الهيمنة الايديولوجية لأمريكا"^(٢٥).

عند البحث للاجابة عن السؤال الذي طرحناه في بداية هذا العمل الاكاديمي والذي يمثل السؤال المركزي لدى الراديكاليين، وفي الوقت عينه في موضوع الحوار بين الراديكاليين وكل من الليبراليين والواقعيين، نرى بانّ النظام الرأسمالي العالمي يشكل العقبة والحاجز الرئيسي في عدم تمكين البلدان النامية والمتخلفة من تحقيق النمو والتطور الاقتصادي لمجتمعاتهم، في هذا الصدد هناك العديد من مفكري وباحثي

(٢٢) عبد الخالق عبد الله، المرجع السابق، ص ٣١.

(٢٣) نقلاً عن: المرجع نفسه، ص ٣١.

(٢٤) ليس لاندو، السياسة الدولية النظرية والتطبيق، ت. د. قاسم المقداد، اتحاد كتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٨، ص ١٤.

(٢٥) المرجع نفسه، ص ١٤.

نظريات التبعية^(٢٦) يؤكدون على أنّ التخلف في الحقيقة هو الاداة الرئيسية والفعالة بيد هذا النظام لتحقيق هيمنتها على العالم، هذا ما يؤكدده (شلزوفورتادو) عندما يقول (لقد تمكنت الرأسمالية، وبفضل التخلف، من ان تنشر سيادتها على مناطق شاسعة في العالم، معاهدات اقل تفكيك متصور للبنى الاجتماعية التقليدية القائمة في هذه المناطق. ولعبالتخلف دورا اساسيا في بناء النظام الاقتصادي العالمي الراهن، وهو ما يزال يحتفظ بقدرة على حركة لا يستهان بها)^(٢٧).

وبهذا فإنّ منظروا نظرية التبعية، وكما يذهب اليه البعض بالقول قد احدثوا قطيعة مع الافتراض (الذي دافع عنه ماركس، ولينين وصولا الى الشيوعيين المتشددين في امريكا اللاتينية) القائل بان الرأسمالية - الامبريالية تؤدي الى التصنيع الرأسمالي في الدول المتخلفة، فماركس كان يعتقد ان القوانين الداخلية تدفع بالرأسمالية الى الانتشار المستمر على الصعيد العالمي، وفي اطار توسعها خارج اوروبا ستصطدم بالمجتمعات غير الاوروبية وتؤثر عليها ايجابيا، من خلال دورها التاريخي والثوري في القضاء على انماط الانتاج التقليدية المتخلفة^(٢٨).

تجدر الاشارة، وفيما يخص هذا الموضوع، الى أنّ هناك من الراديكاليين يركزون على طبيعة النظام العالمي كعامل اساسي ومهم في ظهور البلدان المتخلفة او التابعة، اذ ووفقا لوجهة النظر هذه "كانت كل دولة خاضعة او معرضة للعزلة والضغط من قبلالوسط المتسم بالسلب والنهب والافتراس او من قبل القوى (الدول) الكبرى،...، وكان هذاالاتجاه لدى الاوساط الاقل تنظيما والدول الصغرى، ادنالى الانقسام الى اجزاء غير متناسقة، قد سهل السيطرة والتحكم اللذين تمارسهماالدول الكبرى"^(٢٩).

^(٢٦) تاريخيا، ترتبطالاسهامات النظرية للتبعية بمنظرين اغلبهم لهم علاقة مباشرة باللجنة الاقتصادية لأمريكا اللاتينية ECLA. وهي لجنة أكاديمية عملت تحت اشراف مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية UNCTAD خلال فترة

الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي. محمد حمشي، المرجع السابق، ص ١٤.

^(٢٧) سميرامين، سعد زهراناخرين، المرجع السابق، ص ٩٢.

^(٢٨) محمد حمشي، المرجع السابق، ص ١٤.

^(٢٩) باتريك دانيليفي، بريندانا ونليري، المرجع السابق، ص ١٤٧.

اذن وبالنظر لان النظام العالمي تشكلت وهي معبأة ومحملة بمستويات غير متكافئة من القدرات والامكانات بين مكوناتها، سيما من النواحي الاقتصادية والقوة العسكرية، لذلك نجد بان هذا قد انعكس على العلاقات الدولية بشكل سيء للغاية.

عليه فإن العامل الاقتصادي أصبح لدى الراديكاليين احد اهم الركائز الفكرية الرئيسية، الذي تنطلق منها اطروحاتهم الفكرية والنظرية بخصوص واقع العلاقات الدولية والدوافع المحركة الرئيسية فيها، فنراهم بهذا الصدد يؤكدون علناً "النقاط لاكثر ضعفا في النظريات الليبرالية والواقعية الميركانتلية المتعلقة بدور كل من القوى الاقتصادية والقوى السياسية في خلق المصالح وتشكيل النتائج"^(٣٠). لكننا نرى بان هذا العامل يؤدي دورا مغايرا ومعاكسا، او بعبارة ادق نرى بان العامل الاقتصادي يلعب في اتجاه معاكس خصوصا لدى الواقعيين الجدد، ذلك بمعنى انه يتحول الى اداة فعالة لتسود الاستقرار والسلام في العلاقات الدولية، اذ تدفع التقدم الاقتصادي، وكما يقول (كلاوس كنور) بهذا الصدد الى: (ان تنزع هذه الدول الى تبني القيم المثالية التي تستهدف الى تحقيق الرخاء والرفق، بشكل يتعارض مع عمليات العنف والقتل ومظاهر الاستغلال التي تنجم عن التورط في الصراعات الخارجية)^(٣١) لكن يجب الاشارة هنا الى انه هذه الافكار والتوجهات ل(كنور)، قد قوبل بالرفض لدى بعض انصار النظرية الليبرالية الجديدة، هذا ما يؤكد (والت روستو) في كتابه (مراحل النمو الاقتصادي - **The stages of Economic Growth** - يرد على ذلك عندما "يربط بين درجة التقدم الاقتصادي وبين تفاقم الصراع الدولي"^(٣٢).

في الواقع وجهة نظر (روستو) ذلك فيها الكثير من الواقعية، ونلمس ذلك بشكل واضح عند اية قراءة وتمحيص موضوعيين لواقع العلاقات الدولية، فالى جانب الحقائق التاريخية المتعلقة بالمرحلة او الحقبة المعروفة بالكولونيالية والتي اشرنا الى قسم منها فيما سبق، فقد جاءت الحقبة المعروفة بالثنائية القطبية في العلاقات الدولية حاملة معها حقائق دامغة تؤكد على ان التقدم الاقتصادي الحاصل في الدول المتقدمة صناعيا وفي

(٣٠) د. انور محمد فرج، المرجع السابق، ص ٤٢٠، ٤٢١.

(٣١) د. جمال سلامة علي، تحليل العلاقات الدولية، ط ١، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١٣، ص ١٢٧، ١٢٨.

(٣٢) المرجع نفسه، ص ١٢٩.

مقدمتها الدول او القوى الكبرى، قد تحققت في قسم كبير منها نتيجة او بسبب عمليات او السياسات الاقتصادية الاستغلالية لهذه الدول.

وبهذا الصدد تجدر الاشارة الى كيف انّ مثل هذه السياسات والعمليات ادت وعلى صعيد العلاقات الدولية الى ظهور ردود فعل قوية من جانب الدول التي بدأت تعاني من التخلف بسبب تلك السياسات، هذه الردود اخذت في اعقاب الحرب الثانية لتبلور في صيغة تكتل عالمي يطلق عليه (حركة عدم الانحياز)، اذ انّ اهم اسباب قيام هذه الحركة، والتي جاءت لتؤكد التوجهات والفرضيات الاساسية لدى الراديكاليين، يكمن في سيادة الهوة والفجوة العميقة بين دول الشمال والجنوب من الناحية الاقتصادية فهناك من يقول بهذا الصدد بانّ ظهور دول جديدة تعاني من التخلف والفقر كانت نتيجة للاحتلال الاجنبي^(٣٣).

قبل ان نتناول في كيف انّ هذه الحركة قد اثرت في واقع العلاقات الدولية سيما في العقدين الاولين من ظهورها، نرى من الضروري الاشارة الى حقيقة جوهرية، التي تتمثل في انّ مشكلات النمو الاقتصادي كاحدا برز المشكلات الطافية على سطح العلاقات بين دول الشمال والجنوب، هي في الحقيقة جانب مهم من النمو المتباين للقوة في العلاقات الدولية، فهناك من يرى بانّ كل من الاتجاه الراديكالي والاتجاه الواقعي توضحان حركية العلاقات الدولية بحدود النمو المتباين للقوة بين الدول لا بل انّ كل منهما توضح الجوانب الاكثر الاهمية للعلاقات الدولية (الحرب، الامبريالية، التغيير)، كنتائج للنمو غير المتساوي بين الدول^(٣٤).

وبهذا الصدد تجدر الاشارة الى انّ اغلب البحوث والاحصائيات المقيمة من قبل الهيئات والمؤسسات البحثية والدراسية لدول الاعضاء في حركة دول عدم الانحياز، تؤكد على "انّ النمو الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والعلمي هو لب السياسة لأي مجتمع، واذا كانت دول العالم الثالث قد عانت من الاحتلال العسكري والتبعية للدول المستعمرة في الماضي، فإنها الان تعاني من استعمار بشكل جديد، استعمار

^(٣٣) د. محمد منذر، مبادئ في العلاقات الدولية من النظريات الى العولمة، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٢، ص٢٢٢.

^(٣٤) د. انور محمد فرج، المرجع السابق، ص٤٢٤.

اقتصادي وثقافي، قَسَمَ العالم الى دول غنية ودول فقيرة، بعد ان كان هذا العالم ينقسم الى دول مستعمرة واخرى مستعمرة، وفي كلتا الحالتين فإنَّ الاستغلال قائمٌ^(٣٥).
بناءً على ماتقدم يمكن القول كيف أنَّ هذه السياسات والعمليات الاستغلالية من قبل دول الشمال او القوى الصناعية الكبرى تجاه البلدان المتخلفة او النامية، ادتالي ان يطالب الاعضاء الرئيسيين في حركة دول عدم الانحياز، المجتمع الدولي الى الانصياع لمطالبهم في انتهاء حالة التخلف تلك واقامة علاقات تتسم بالعدالة والتوازن بينهما، وفي هذا الاشارة واضحة على مدى تاثير حالة اللاتوازن تلك في العلاقات الدولية، سيما العلاقات الاقتصادية الدولية، على جزء مهم من هذه العلاقات على الصعيد النظام العالمي.

ارتباطا بالحقيقة اعلاه، نرى بأنَّ حالة اللاتوازن تلك في العلاقات الدولية افرزت عنها ظهور وتأسيس كيان ومنظمة دولية تقوم بدور التوجيه والاشراف على دفعة محور مهم من ساحة العلاقات الدولية، اذ "استجابتا لأمم المتحدة لدعوة ست وثلاثون دولة من الجنوب ونظمت اللقاء الاول للمم المتحدة للتجارة والتنمية (الاونكتاد) في (جنيف) سنة (١٩٦٤)، وتحول هذا اللقاء الدولي الاول الى مؤسسة دولية دائمة وتابعة للأمم المتحدة، وتعني مباشرة بحوار الشمال والجنوب ومعالجة قضايا التنمية والتجارة الدولية الملحة"^(٣٦).

محور اخر من محاور النقاش والخلاف بين الراديكالية والواقعية هو موضوع كيفية التوصل الى السلام والاستقرار في النظام العالمي، اذ يعتقد الواقعيون بأنه "فيا لنظام الفوضوي يتسمح السيطرة التي تمارسها القوى الكبرى بتشجيع السلام واشاعة الاستقرار"^(٣٧)، وفي هذا نرى بان (اليس لاندو) يقول: (انَّ الدور الذي تلعبه القوى

(٣٥) د. محمد منذر، المرجع السابق، ص ٢٣٢.

(٣٦) د. عبد الخالق عبد الله، العالم المعاصر والصراعات الدولية، مطابعا لرسالة، الكويت، ١٩٨٩، ص ١٦٣.

(٣٧) اليس لاندو، المرجع السابق، ص ٢٤.

الكبرى في النظام الدولي الذي يتشبه به (بيل)^{٣٨} كثيرا، أنها تحافظ على ميزان القوة وتعمل على تجنب الحروب والازمات)^(٣٩).

مما سبق يظهر أن مفهوم النظام الدولي و طبيعته و واقع القوى المسيطرة عليه، تشكل الاشكالية الاساسية في وجهات نظر كل من الراديكاليين والواقعيين، إذ "أنا ندخل في حقبة ما بعد الديمقراطية إذ تعود بعض معالم النظام القديم للظهور، مثل واقع أن السلطة مُصدرة من قبل نخبة تهتّب بشكل واسع من الضريبة تؤدي عولمة الاقتصاد، وفقدان القوة لدى الحكومات الوطنية تجاه المصالح المالية، وهيمنة الفكر الواحد الذي يرى في المنافسة واقتصاد السوق الحل لكل مشاكل التنظيم،...، فأننا نتجه الى عالم إذ تصبح فيه السياسة الوطنية مسالة تسويق بما أنه لم يعد هناك قرار جدي يُتخذ على هذا الصعيد إذ تعود السلطة الحقيقية الى نخبة اقتصادية عالمية"^(٤٠).

المطلب الثاني: التنمية كمحور رئيسي لمواجهة الراديكالية والليبرالية
هناك مسائل مهمة ورئيسة عدة تشكل لب وجوهر الحوار بين الراديكالية والليبرالية بوصفهما اتجاهين ونظريتين في دراسة العلاقات الدولية، لكن تجدر الاشارة الى ان قسم من هذه القضايا والمسائل تشكل نقاطا مشتركة بين الاتجاهين والقسم الاخر يمثل نقاط خلاف وابتعاد عميقين، فاذا اخذنا بالفاعلين الدوليين كاحد المحاور الاساسية في تكوين وهيكلية العلاقات الدولية، نرى بان الليبراليين اتوا بتعديلات اساسية على مفهوم الفاعلين الدوليين، خاصة عندما اضافوا الى سلسلة الفاعلين هذا موضوع "وضع الدولة في سياق العولمة، اذ ان نمو حركة الرساميل المتجاوزة للحدود القومية، دفعت الدول القومية الى نزاع من اجلها، والى تبني سياسات مؤيدة للرسمالية ومعارضة للعمالة"^(٤١)، إذ ان (الوظيفيين الجدد)، وبوصفهم احد المدارس الرئيسية في الاتجاه الليبرالي المعاصر، قاموا بادخال اضافات مهمة في موضوع الفاعلين الدوليين، هذا ما يؤكد (اليس لاندو) عندما يقول (يرى الوظيفيون ان اطرافا جديدة ظهرت تحت قناع "الوظيفيين

(٣٨) وهو (هيدلي بيل) صاحب الفرضية الاساسية في الواقعية "المجتمع القوضي".

(٣٩) المرجع نفسه، ص ٢٨.

(٤٠) مارك فلوربايه، الرأسمالية والديمقراطية، ت، عاطف المولى، ط ١، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٧، ص ١٠١.

(٤١) جون سكوت، المرجع السابق، ص ٢٠٢.

الجدد"، وهي النقابات والاحزاب السياسية، وروابط التجارة والبيروقراطية المتجاوزة للحدود الوطنية في المجموعة الاوربية التي في طور التشكل^(٤٢).

تجدر الاشارة الى اناهمية هذه الاضافة المهمة في موضوع الفاعلين الدوليين، يكمن في ان الراديكاليين، وعند تنظيرهم ودراستهم في موضوع القوى الاخرى الفاعلة في العلاقات الدولية، يركزون كثيرا على الدور الذي تلعبه النقابات والاحزاب السياسية^{٤٣} ومنظمات المجتمع المدني، وهذا ما سنبحثه لاحقا.

اما بصدد دور وتأثير الفاعلين الجدد لدى اصحاب التيار الراديكالي والمدارس المؤيدة لها، هناك من يتحدث عن المنظمات غير الحكومية، كفواعل دوليين في النظام العالمي المعاصر، سيما في الحقبة ما بعد الحرب الثانية، وبرز مثال على ذلك هو "الاتحاد العالمي للنقابات الدولية الذي تملك عددا من اعضاء يزيد على (١٢٥) مليوناً، وكذلك تملك الاتحاد العالمي للشبيبة الديمقراطية ما يزيد على مئة مليون عضو، وان عضوية هذه المنظمات تضم كل دول النظام العالمي ماعدا بضع دول"^(٤٤).

وفيما يتعلق بدور وتأثير تلك المنظمات في السياسة الدولية، فهناك من يذهب بالقول الى ان هذه المنظمات تتمتع بموقف قانوني دولي، وتمارس من الناحية العملية وليس نظريا التأثير في تنفيذ السياسة العالمية، ومعائهم لا يملكون نفس درجة التأثير المادى للممثلون الاخرون في النظام الدولي، الا انهم وعندما تجتمع بعضها مع البعض الاخر في كتل، فانها تستطيع ان توجه ضغطا حقيقيا للتأثير في الحكومات المضيفة^(٤٥).

كذلك وبهذا الصدد، فانهم يمكن الاشارة الى العديد من تلك المنظمات والحركات التي لها تاثيرها ووقوعها المناسب على عمل و نشاطات وقرارات العديد من المؤتمرات و اللقاءات التي تقيمها القوى الكبرى والشركات المتعددة الجنسيات. وبرز مثال على صحة ذلك، هو "حركة (فيا كامبيسينا VIA CAMPESINA) احدى اهم التجمعات المدنية الفلاحية المضادة للعولمة، التيانشات عام ١٩٩٣، واصبحت اليوم من

(٤٢) ليس لاندو، المرجع السابق، ص ٣٤.

(٤٣) في الاشارة الى الاحزاب والقوى اليسارية، التي لهم امتدادات اقليمية وعالمية.

(٤٤) باتريك دانليفي، بريندانا ونليري، المرجع السابق، ص ١٧٩.

(٤٥) المرجع نفسه، ص ١٧٩.

اقوى الشبكات الفلاحية التعاونية، فلها امتداد في عدة مناطق من العالم من الكونغو وحتى البرازيل، وهي تتكون حاليا من اكثر من (٧٠) منظمة وتهدف الى الدفاع عن المزارعين وعن الذين لا يملكون ارضا^(٤٦).

وكمثال، او بالاحرى كنموذج تطبيقي على مدى تأثير هذه المنظمات في العلاقات الدولية، نشير الى انه و"منذ فشل الاتفاق المتعدد حول الاستثمارات (AMI)^(٤٧) في ١٩٩٨ والذي كان يهدف الى حماية المقاولات المتعددة الجنسية واستثماراتها في الدول الوطنية، بدأ معارضة العولمة يفرضون قوتهم من خلال التنديد بالاثار السلبية للسياسات النيوليبرالية"^(٤٨)، وفي هذا دلالة قوية وواضحة على ظهور هذا النمط من الفاعلين الجدد في السياسة الدولية كنتيجة و ردود فعل للسياسات والعمليات الاستغلالية للدول الكبرى التي تقود و توجه النظام الرأسمالي العالمي، وهذا بحد ذاته اشارة واضحة الى صحة الاطروحات الراديكالية سيما اصحاب نظريات التبعية بخصوص سيادة الصراع الطبقي على العلاقات ما بين دول الشمال المتقدمة صناعيا ودول الجنوب المتخلفة صناعيا او النامية، سيما العلاقات الاقتصادية منها.

لكن ورغم تلك الحقائق، نرى بانّ هناك مفكرين ومنظرين بارزين للنموذج الليبرالي يذهبون في تحليلاتهم بهذا الصدد عكس ذلك ويطرحون افكار و اراء في تناقض صارخ مع تلك الحقائق، وبهذا الصدد نشير الى ما يقوله (مارك فلوربايه) بانّ (تفوق السوق في الاقتصاد هو بحد ذاته ضرورة ديمقراطية، انّ الدفع الديمقراطي هو دفع نحو الحرية، فهو يحمي دائما حرية التبادل في وجه محاولات التسلط، لا بل لا يرد هذا الدفع اتهام عولمة الاقتصاد الذي يعني بشكل اساسي الاستخدام الحر للتقنيات الجديدة للنقل والاتصال)^(٤٩).

^(٤٦) د. محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات الى انسنة الحضارة وثقافة الاسلام، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٨، ص٢٧٧، ٢٧٨.

^(٤٧) يقصد بذلك مشروع اتفاق المتعدد الاطراف حول الاستثمار، والذي تمت مناقشته بشكل سري عام ١٩٩٨ داخل منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية، والمشروع يمنح شركات المتعددة الجنسية التي تقوم بالاستثمار داخل الدول الاجنبية الحقوق نفسها المخولة لشركات المحلية، المرجع نفسه، ص٢٧٩.

^(٤٨) المرجع نفسه، ص٢٧٩.

^(٤٩) مارك فلوربايه، المرجع السابق، ص١١.

يظهر مما تقدم أنه على الرغم من أن الراديكالية تتفق مع الليبرالية في عدة نقاط، ومن أهمها "عدم تفضيل الوضع العالمي القائم وتامل في تحويل النظام العالمي الى نظام أكثر مساواة وأكثر عدالة، لكن يرى الراديكاليون بأن الامبريالية والحرب هي من صنع الرأسمالية التي تحاول المحافظة على قوتها لاستغلال الطبقات الأخرى"^(٥٠). هكذا فإن هذا الموضوع يتحول الى احد المحاور الرئيسية للخلاف بين الاتجاهين، ولنلمس بأن هذا الخلاف يتعمق أكثر فأكثر من خلال الجدل القائم بينهما حول موضوع التنمية فقد "وجهت الراديكالية ومن خلال مدرسة التبعية، انتقادات عديدة للنظريات الليبرالية والتعددية الغربية حول التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي للبلدان النامية، وبصفة خاصة ماورد في نظريات التنمية الغربية المسماة بـ"نماذج الانتشار" ومراحل التطور حول تجارب التنمية في الدول المستقلة الحديثة"^(٥١).

من الضروري قبل الدخول مباشرة في صميم مواجهة الراديكاليين مع الليبراليين في موضوع التنمية، الإشارة الى أن مفهوم (التنمية)، ليست فقط تحتل مكانا بارزا في العلاقات الدولية بين ما تعرفه الآن بقطيبي الشمال والجنوب، بل أنها تحظى بأهمية كبيرة لدى العديد من المفكرين الراديكاليين ومنظري مدرسة التبعية، ذلك عند ربطهم موضوع التنمية، بموضوع السلام العالمي، وفي تأكيد لهذا نجد (دانيال كولار) يقول (لن يكون هناك ثمة سلام حقيقي في العالم المعاصر دون التنمية)^(٥٢).

مادنا بصدد موضوع التنمية، كأحد القضايا المهمة التي تهيمن على المواجهة بين الراديكالية والليبرالية، من الضروري التطرق الى دور شركات المتعددة الجنسيات في هذا السياق، وذلك كفاعلين دوليين جدد، وفي هذا هناك من يؤكد ذلك، عندما يذهب بالقول الى أن أصحاب نظرية التبعية المتبادلة^(٥٣)، يرون بأن هذه الشركات هم عبارة عن

(٥٠) د. انور محمد فرج، المرجع السابق، ص ٤٢٥.

(٥١) المرجع نفسه، ص ٤٢٦.

(٥٢) د. عبد الخالق عبد الله، المرجع السابق، ص ٢٨.

(٥٣) في الإشارة الى الليبراليون الجدد.

الاطراف الجديدة، في الاشارة الى المؤسسات الدولية، المضافين الى السلسلة الفاعلين الدوليين^(٥٤).

وبهذا يصبح هذه الشركات، وفي نظر اغلب مفكري ومنظري النموذج الراديكالي، الاداة والوسيلة الفعالة والمؤثرة في تحقيق مصالح واستراتيجيات الدول الكبرى في النظام الرأسمالي العالمي، وكذلك في ازدياد سطوة وسيطرتهم على المزيد من خيرات وثروات الشعوب والدول الضعيفة اقتصاديا، وفي الوقت نفسه، وبحسب وجهة نظر هؤلاء، فإن تلك الشركات، يشكلون السبب الرئيسي او الاداة الرئيسي في تعميق واقع التخلف والتبعية للبلدان النامية والمتخلفة، ومما يجعل هذا الدور السلبي والمخيف لهذه الشركات تجاه المجتمعات المتخلفة، أكثر واقعية وحقيقة دامغة لدى باحثي و مفكري الراديكالية، يكمن في "أن هدف هذه الشركات العملاقة تتجسد في السيطرة على النشاط الاقتصادي وتحويله الى نشاط عالمي يتعدى حدود السلطات المحلية، ويتمركز في ادارات ومكاتب هذه الشركات، وبالتالي تحول مدراء هذه الشركات الى اول فئة اجتماعية في التاريخ البشري تدير العالم كنظام مركزي موحد"^(٥٥)، وهذا ما تم تحقيقه في الواقع العملي في العلاقات الدولية، في وقتنا الراهن، اي في العقدين الاولين للقرن الـ(٢١).

وبهذا يتحول التنمية، ولدى اصحاب الاتجاه الراديكالي الى ذلك الاساس الذي تقوم عليه تقسيم العالم الى دول الشمال ودول الجنوب، وفي هذا هناك من يذهب بالقول الى ان هذا التقسيم، هو في الاساس تقسيم اقتصادي، يرتبط ارتباطا وثيقا بالنظام الاقتصادي العالمي الذي يتكون من دول المركز (الرأسمالية والصناعية)، والتي تحقق تقدمها ورفاهيتها على حساب استغلال وافقار وتخلف دول الاطراف في هذا النظام^(٥٦).

وبهذا الصدد تجدر الاشارة، الى أنه وعلى الرغم من أن العديد من الدول الشمال الصناعي قد قاموا بطرح اشكال من التعاون والدعم لدول الجنوب، الا أن اغلب رؤساء

^(٥٤) اليس لاندو، المرجع السابق، ص ٣٤.

^(٥٥) د. عبدالخالق عبد الله، المرجع السابق، ص ٣١، ٣٢.

^(٥٦) المرجع نفسه، ص ١٣٥.

هذه الاخيرة شككوا في ذلك، اذ انهم "رؤوا في هذه المصالح استمرارا للمحاولة التي نفذت بعد الاستقلال والهادفة الى فرض سيطرة سياسية فعلية بوسائل اقتصادية، ورؤوا ايضا استقلال وتقدم دولهم الجديدة مهددان بالسيطرة الاقتصادية الاجنبية المخفية"^(٥٧).

في الواقع مع ان الليبراليون يطرحون اطر عديدة لمعالجة الاختلافات القائمة بين الشمال والجنوب، او بالأحرى لحل المشاكل العالقة في العلاقات الدولية بين الكتل المتعارضة، الا ان محاولاتهم تلك، غالباً ما تصطدم بالعقبات التي جذورها الاطر الفكرية التي تتمسك بها وتعتمدها المناهضون للنظام الرأسمالي العالمي، اذ "فيما ترى الليبرالية بان الاختلافات القائمة بين الجماعات انما تحل عن طريق المؤسسات السياسية الديمقراطية التي تتولى تسويتها من خلال التحكيم، ترى الماركسية بان حل الصراع الطبقي، انما يتأتى فقط باقتلاع شافة العلاقات الاجتماعية - الاقتصادية التي تنبثق منها البناء الطبقي"^(٥٨).

بناءً على ما تقدم، يمكن الوصول الى الاستنتاج التي تقول بان هذا الموضوع، الذي يشكل محورا اخر من محاور المواجهة بين الراديكالية والليبرالية، فانها طرأت عليها تغيرات وتحولات كثيرة من اذ الصيغة النظرية المفاهيمية، اذ اصبحت مفاهيم مثل (الاعتمادية المتبادلة)، تحل محل مفاهيم المؤسسات السياسية الديمقراطية، وكذلك مفهوم ك(التعاونية الجماعية) محل مفهوم (الصراع الطبقي).

في العلاقة بموضوع تلك التسوية المطروحة من قبل الليبراليون والمتمثلة باقامة المؤسسات الديمقراطية، فان منظرو الاتجاه الراديكالي، سيما اصحاب مدرسة التبعية، يزدون على ذلك ويدعون بان كافة الجهود والمحاولات المقيمة والمتبعة من قبل دول الجنوب لايجاد الحلول الحقيقية والواقعية لتخطي تفاقم الازمات التي تعاني

^(٥٧) باتريك دانليفي، بريندانا ونليري، المرجع السابق، ص ٢٨٣.

^(٥٨) د. انور محمد فرج، المرجع السابق، ص ٤٢٦.

منها الجنوب، قد باءت بالفشل، إذ لم يتوصل الحوار^(٥٩) الى اي اتفاق عملي يتصدى لقضايا المجاعة والفقر في الجنوب، ولم يساهم في تقديم اي مساعدة دولية لدول الجنوب، واعلن عن فشله الذريع في اقرار اي صيغة لتجاوز الاختلال البنيوي الذي يعاني منه النظام الاقتصادي الراهن^(٦٠)، لا بل، ومما يؤكد على ذلك الفشل، وفي اطار تقديم المزيد من البرهان، فمن الضروري الاشارة الى كيف ظهرت العديد من المؤسسات والهيئات التابعة لدول الشمال - دول المركز في النظام الرأسمالي العالمي، لتثبيت وترسيخ واقع الفجوة الموجودة بين الشمال والجنوب، "فمعظم المؤسسات والهيئات الاقتصادية والنقدية والتجارية الدولية ك(صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، والكات، منظمة التعريف الجمركية والتجارة - الخ...)، قد تمت تاسيسها بهدف تعزيز وترسيخ هيمنة دول الشمال على العالم اقتصاديا وسياسيا دون مراعاة الاحتياجات التنموية في الجنوب"^(٦١).

ان حقيقة سيطرة وهيمنة القوى الكبرى على واقع السياسة الدولية وما تجري داخلها من اوضاع وعمليات وقرارات سياسية واقتصادية وعسكرية الخ...، شيء يقره و يعترف به مفكرين و منظرين بارزين في النماذج الاخرى غير الراديكالية، يقول (ريتشارد ليتل): (كانت المؤسسات الدولية والانظمة التي نشأت داخل هذه المؤسسات مدار ابحاث قام بها، في المقام الاول، المؤسساتيون الليبراليون وبالتالي اهملت الدراسات جانبا مهما وهو ان القوى الكبرى تسيطر على المؤسسات المذكورة، وان الانظمة المنبثقة من المؤسسات مبنية على اساس اتفاق صفقات يرعى مصالح القوى الكبرى، وفي الغالب على حساب الاعضاء الاضعف في المجتمع الدولي)^(٦٢).

^(٥٩) يقصد بذلك الحوار الذي دعا اليه مناهضو التبعية بين الشمال والجنوب، وذلك بغية بناء اساس لتعاون دولي لحل ازمة التخلف، وتحقيق المساواة في المبادلات الدولية واعادة توزيع الموارد والاستثمارات العالمية بما يتناسب مع احتياجات التنمية في الجنوب. د. عبد الخالق عبد الله، المرجع السابق، ص ١٦٠.

^(٦٠) د. عبد الخالق عبد الله، المرجع السابق، ص ١٦٠.

^(٦١) المرجع نفسه، ص ١٦١.

^(٦٢) ريتشارد ليتل، توازن القوى في العلاقات الدولية، ت. هانيتايري، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٩، ص ١٩٤.

تجدر الإشارة هنا، الى أنّ هذه الحقيقة يؤكدّها أيضاً (التز)، بشكل أكثر وضوحاً، عندما يكشف عن الارتباط الوثيق بين العمليات الاقتصادية الدولية والسياسة الدولية، فكما يذهب إليه البعض بالقول فإنّ " (التز) يعتقد بأنّ نظرية (اسواق احتكار القلة) ^(٦٣) وثيقة الصلة بالسياسة الدولية شريطة ان يكون المنظرون على استعداد للقيام بخطوة يقوم بها عادةً الاقتصاديون" ^(٦٤).

على ضوء ما تقدم، وبصدد مواجهة الراديكالية مع الليبرالية في موضوع التنمية، يمكن القول بأنّ الراديكاليين يرون بأنّ "الجواب بالوحيد على العولمة الجامحة التي لاتخضع لضوابط، هو انشاء قواعد دولية تخلق فضاءات تسمح باتخاذ قرارات على المستوى الوطني، فالقرارات يجب ان تتخذ على المستوى الوطني في ما يخص مسائل مثل الادوية الامن الغذائي، وصندوق النقد الدولي يجب ان يعود الى وظيفته الاصلية وهي منح الدول المحتاجة ديوناً قصيرة الامد من دون ان يفرض عليها إعادة هيكلة اقتصادها" ^(٦٥).

وبهذا فهم يعلنون بأنهم، وبقدر ما يرفضون اطروحات الليبراليون لمعالجة الفجوة العميقة بين الدول الشمال الاغنياء و دول الجنوب المعدومة والمثقله بديون الشمال ومؤسساتهم المالية والبنكية ك(صنوقالنقد الدولي و البنك الدولي)، فإنّهم بالقدر نفسه، مقتنعون بتلك الصيغ و الاطر من العلاقة بين الطرفين التي تقوم على التعاون و التقارب البناء، لكن شريطة ان تقوم تلك العلاقة على قدم من المساواة والعدالة إذ يمكن من خلالها تتم تحقيق التنمية التطور المنشودين لهذه البلدان المتخلفة.

كذلك هناك من يتحدث عن اشكال وانماط اخرى معاصرة لابقاء دول الجنوب اقتصاديا في فلك هيمنة دول الشمال الغنية، وبهذا الصدد فإنّهم يشيرون الى أنّ السوق الحرة و نماذج التنمية المصدرة في اطار التضامن المتنامي من قبل الليبرالية الجديدة

^(٦٣) وهي النظرية التي تتحدث عنها (جيمس والتز) في كتابه القيم (نظرية السياسة الدولية) الذي ألفه (١٩٧٩) ويعتبر مقارنة واقعية بنوية للسياسة الدولية، ويقصدها "الحالة التي تسيطر فيها على السوق عدد محدود من الشركات الكبيرة، ويكون المنتجون مستقلين ايضاً، لكنهم يتركزون فعلياً على قاعدة مبداء الهرمية التنظيمية". المرجع نفسه، ص ٢٠٨.

^(٦٤) المرجع نفسه، ص ٢٠٩.

^(٦٥) د. محمد سعدي، المرجع السابق، ص ٢٧٢.

هي بالاساس متناقضة مع استراتيجيات التنمية لدى الدول النامية، ومنها بالاخص اقتصاديات نمور شرق اسيا، والتي كانت اكثر اعتمادا على الايرادات البديلة عن طريق تنمية الخصائص التنافسية قبل فتح ابوابها للمنافسة الخارجية^(٦٦).

المبحث الثالث: دور المقاربات الفكرية الجديدة في دعم اطروحات الاتجاه الراديكالي

انّ التطورات الاخيرة في فضاء نظريات العلاقات الدولية عامة، ونظريات والمدارس الداخلة في سياق الاتجاه الراديكالي خاصة، قد جاءت في صالح اكثر التوجهات والاراء الفكرية والنظرية لهذا الاتجاه، اذ قد ظهرت في العقدين الاخيرين من القرن العشرين والبديات القرن الحالي، العديد من النظريات والمقاربات الفكرية التي بحثت من جديد في واقع العلاقات الدولية ومحاورها الرئيسية، وساهمت في انتاج او ايجاد نظريات ومقاربات فكرية تدعم في اهم الاطروحات التي اعتمدها الاتجاه الراديكالي، ولهذا وجدت من الضروري بحه اهم هذه المقاربات الفكرية في هذا المبحث، من خلال المطالبين الاتيين:-

١- المطلب الاول: المقاربات الفكرية لدى كل من الراديكالية والليبرالية والواقعية الجديدة

٢- المطلب الثاني: اهم المقاربات الفكرية المعاصرة للاتجاه الراديكالي المطلب الاول: المقاربات الفكرية لدى كل من الراديكالية والليبرالية والواقعية الجديدة

في الواقع انّ مفهوم السوق واليات سيطرته على الحياة السياسية والاقتصادية، سيما في بلدان الجنوب المتخلفة والنامية منها ايضا، هو بمثابة احد اهم المفاهيم الذي تشكل اهم قنوات التقارب لدى قسم من منظري الليبرالية والواقعية من جهة، والراديكاليون من جهة اخرى، وبهذا الصدد هناك العديد من انصار براديغما الفوضى (او القرون الوسطى

الجديدة)، تتحدثون وبصراحة أكثر عن مفاهيم و اطروحات تتصل وبشكل مباشر، بل تدخل ضمن نسق المفاهيم المركزية والسياسية للاتجاه الراديكالي.

ومن تلك المفاهيم، نشير هنا الى مفهوم (سيادة اقتصاد السوق)، اذ هناك من يرى بأنه ونتيجة لتراجع دور الدولة في مرحلة ما بعد الحرب الباردة - او مرحلة القرون الوسطى الجديدة -، فيما يخص وظائفها الاجتماعية والاقتصادية، ان ظهرت لدينا مناطق رمادية وارض مجهولة على المستوى العالمي، وداخل مختلف المجتمعات، اصبحت هذه المناطق تتزايد نتيجة للخلل في النظام الرأسمالي العالمي وتعاني من سيادة اقتصاد السوق من دون اية ضوابط قانونية واخلاقية^(٦٧).

ان هذه الازراء و الاطروحات الفكرية تجد صداها لدى منظري التبعية بشكل للبلسفيه، اذ وكما يرى البعض فان ابرز سمات النظام السياسي العالمي لدى منظري التبعية، هي سمة الهيمنة التي تمارسها الدول العظمى على الدول الصغرى والتابعة، وعلى هذا فان هذه النظرية ترى هذا النظام مُنقسمًا بنيويًا الى نوعين من الدول: دول مهيمنة تقع في مركز النظام السياسي العالمي، وهي الدول الصناعية والنوية المتقدمة، ودول اخرى تابعة، تقع على اطراف هذا النظام، وهي الدول المتخلفة اقتصاديا وصناعيا وتقنيا، عليه فانه لا يمكن فهم هذا النظام، دون فهم علاقات التبعية والهيمنة القائمة بين مجموعات الدول المكونة للعالم المعاصر^(٦٨).

في الحقيقة تمثل هذه الاطروحة احد المقاربات الفكرية الجديدة ضمن مدرسة التبعية التقليدية والتي باتت تسمى بالنوية الجديدة، اذ يعتقدون بان "جميع اجزاء الاقتصاد العالمي قد اصبحت رأسمالية بسبب انتاجها للسوق الرأسمالية، وعليه فقد قاوموا الشيوعية الرسمية وقدموا بدلا من ذلك ولاءهم لحركات العصابات الريفية المتمردة، وكان الهدف هو قطع سلسلة الاستغلال التي ربطت سوية كلا من الميتروبولات في المركز والاطراف التابعة في النظام الرأسمالي العالمي، وهم يعتقدون ان

(٦٧) د. محمد سعدي، المرجع السابق، ص ٧٠.

(٦٨) د. عبد الخالق عبد الله، المرجع السابق، ص ٤٢، ٤٣.

نظام التجارة العالمي يعمل على نقل الموارد من الفقراء في الاطراف الى الاغنياء من المركز وليست هناك امكانية لاصلاح هذا النظام لفائدة دول الاطراف^(٦٩).

انّ موضوع التنمية، تحتل موقعها المهم كاحدى محاور الرئيسية في المقاربات الفكرية بينالراديكاليين و كل من الليبراليين والواقعيين الجدد، فنرى (بيير هاسنر) احد ابرز منظري براديغم (الفوضى)، في مقابلة اجراها معه مجلة (لوموند) الفرنسية في (١٨/٩/١٩٩٥) يقول (على المستوى الاقتصادي، عوض السعي الى تشجيع التنمية في البلدان النامية، يتم نهج سياسة انتقائية يجري بموجبه التركيز من قبل الغرب على مساعدة الدول التي تشكل احزمة امنية للشمال، وذلك لاستتباب الامن والاستقرار على طول الحدود بين الشمال والجنوب، وسياسيا يتم مهادنة الانظمة التسلطية، لانها قادرة على ضمان مجموعة من التوازنات الجهوية والحد من حركات الهجرة الكثيفة)^(٧٠)، لا بل فانّ (هاسنر) في اراءه وفهمه الفكري للطبيعة العدوانية والاستعلائية للغرب او الشمال المتقدم تجاه الجنوب المتخلفا والتابع، يذهب اكثر من ذلك، عندما يقول بانّه (فيالغرب يتم تلطيف الحرب العصرية بتحويلها الى مجرد عملية تقنية اساسها التقدم المعلوماتي الهائل، إذ يكفي شل قدرات الخصم، بدون دخول في قتال حقيقي يؤدى الى خسائر بشرية، وهذا في اطار ما اصبح يعرف باستراتيجية (حرب بدون قتلى)، والتي تعكس حرص الغرب على حياة جنوده، وفيالجنوب تم تعويض الحرب العصرية باباداة الشعوب واتخاذ العنف نمطا للعيش)^(٧١).

اما افكار واء (هيدلي بول) الذي تعتبر من اشهر منظري (المدرسة الانكليزية الكلاسيكية) في العلاقات الدولية، فتمثلا افكاره في كتابه (المجتمع الفوضوي)، اقتربا واضحا من بعض المفاهيم الاساسية للنموذج الراديكالي، سيما ما يتعلق بمفهوم (العدالة). وبهذا الصدد تجدر الاشارة الى انّ (بول) يرى بـ"انّ المجتمع البشري يُعاني حاليا ظلما فادحا على المستويين الاقتصادي والاجتماعي، وانّه يستوجب حتما على

(٦٩) محمد حمشي، المرجع السابق، ص ١٧.

(٧٠) د. محمد سعدي، المرجع السابق، ص ٧٣.

(٧١) د. محمد سعدي، المرجع السابق، ص ٧٣.

جميع الاشخاص الاذكياء ومُرهفي الحسّ، مهما راوا من عقبات في طريقهم ان يدركوا حقيقة الامر ويعملوا في سبيل مجتمع عالمي الغي فيه ذلك الظلم"^(٧٢).

هناك ايضا مقاربة فكرية اخرى، يتبنوناراء واطروحات فكرية، تقف موقف الداعم لاراء و افكار النموذج الراديكالي، سيما في موضوع السياسات الاستغلالية للنظام الرأسمالي العالمي تجاه شعوب دول الجنوب، وهذه المقاربة تتمثل في برادغيم(نحن والآخرين)، ففي سياق ردهم على افكار واطروحات(فوكو ياما) بشكل خاص والليبراليون الجدد بشكل عام، يذهبونالى الاعتقادالتي تقول بأنّ "الغرب وبعد انتصاره في الحرب الباردة، اصبح في منزلة الامبراطورية الرومانية من إذالقوة والاستقرار والسلم وسيادة القانون والاشعاع الحضاري العالمي، فهو يحتضن القيم الانسانية الحضارية العالمية، بينما بقية العالم تتخبط في المجاعات والصراعات والدكتاتوريات واللاعقلانيات البربرية"^(٧٣).

في الواقعاً مايستشف جلياً من هذاالنمط من رؤيافكرية والتنظير لدى اصحاب برادغيم(نحن والآخرين)، في تقييمهم لواقع العلاقات الدولية في الفترة مابعدالحرب الباردة، هو تأكيدهم للخطوط الاساسية للخطاب الفكري الراديكالي، اذ نراهم يؤكدون وبصراحة تامة علاناً"ايدولوجية القطيعة بين الشمال والجنوب هي ايدولوجية (اقصائية)، تسعى الى تكريس التهميش العنيف وتغذية روح العداة والمواجهة بينهما"^(٧٤)، ولهذا فأنهم يرون بأنّ هذه المقومات والبنى الفكرية لدى الليبراليون، أنمادتأثير منافسة الدول ذات الرواتب المنخفضة ضعيفة جدا بشكل عام، ويكمن السبب الرئيسي في الاهمية الكمية الضعيفة لتجارة(الشمال - الجنوب) مقارنة بتجارة(الشمال - الشمال)"^(٧٥).

^(٧٢) نقلا عن: ريتشارد ليتل، المرجع السابق، ص ١٩٥.

^(٧٣) د. محمد سعدي، المرجع السابق، ص ٧٠.

^(٧٤) المرجع نفسه، ص ٧١.

^(٧٥) مارك فلوريبييه، المرجع السابق، ص ٤١.

المطلب الثاني: اهمالمقاربات الفكرية المعاصرة للاتجاه الراديكالي هناك العديد من المقاربات الفكرية الجديدة للاتجاه الراديكالي، تستوجبالاشارة اليها في نهاية هذاالجهد الاكاديمي، وذكر اهم ما يطرحونه من اراء واطروحات بصدد او في حقل التنظير للعلاقات الدولية:-

اولا: نظرية النظام - العالم World-System Theory

تعود هذه النظرية الى المنظر الامريكي (ايمانويل واليستين WallersteinImmanuel)^(٧٦)، وقبل ان ناتي على ذكر اهم ماتضمنها، فأنهيجب الاشارة الى ان (واليستين Wallerstein) يعتبر(النظام - العالم World-System)، وحدة التحليل الاساسية لدراسة سلوك الدول / المجتمعات^(٧٧).

اما فيما يتعلق باهم محاور هذه النظرية، فيمكنتلخيصها فيالاتي^(٧٨):-

١) انّ النظام - العالم، هو تضمين وصفه للاقتصاد - العالم الحديث منطقة ثالثة الى جانب منطقتي المركز والمحيط محل تركيز الماركسيين التقليديين، الا وهي منطقة شبه المحيط semi- periphery، وهي المنطقة الوسط بين المنطقتين السابقتين، وتلعب دورا حيويا في اشاعة الاستقرار في بنية النظام. ويؤكد Wallerstein على الترابط بين المناطق الثلاث في اطار علاقة استغلالية، يتم عبرها امتصاص الثروة من المحيط نحو المركز، ونتيجة لذلك ترسخ اكثر فاكثر المواقع النسبية للمناطق، ياذ يصبح الاغنياء اشد ثراء والفقراء اشد فقرا.

٢) اما فيما يتعلق باهمالفواعل في هذا النظام، فانّ (واليستين Wallerstein) يجادل بانّه الى جانب الفواعل الاقتصادية ك(الشركات

^(٧٦) تجدر الاشارة الى انّ كتاباخرين يشاركونه اثناء هذه النظرية، منابرزهم الكاتب الفرنسي Fernand Braudel في

كتابه The Mediterranean and the Mediteranian World in the Age of Philip II

1975.

^(٧٧) محمد حمشي، المرجع السابق، ص ١٨.

^(٧٨) المرجع نفسه، ص ٢٠، ٢١.

والصناعات)، فهناك ايضا الفواعل الدائمة والقائمة اصلا وتشتمل على (الاسرة والجماعات الاثنية والدولة).

٣) الفواعل والديوفي اعتقاد (واليستين)، هي عبارة عن مؤسسات ذات طبيعة لازمنية، ولا واحدة منها تبقى على حال واحدة، وانّ الادعاء خلاف ذلك يعني تبني موقف لاتاريخي، ومن ثم الفشل في فهم كيف ان خصائص المؤسسات الاجتماعية هي محددة تاريخيا، ابعد من ذلك وهو امر حاسم بشكل كبير، يجادل (واليستين) بانه ليست فقط عناصر النظام هي التي تتغير، بل ان النظام في حد ذاته خاضع لحركة التاريخ، فهو ذو بداية، ومرحلة وسيطة، وستكون له نهايته.

ثانيا: مقتربا لعلاقات الاجتماعية العالمية Global Social Relations

جاءت هذا المقترح، كما يراه البعض كرد على اراء Warren Bill، وهو كاتب يساري امريكي عمل على اعادة الاعتبار الى افكار الماركسية الارثوذكسية، والتركيز على الامكانيات الاقتصادية التي يمكن للتوسع الرأسمالي/ الامبرياليان يوفرها لمجتمعات العالم الثالث، نجدان Justin Rosenberg - وفي المقابل -، يركز اهتمامه على طبيعة النظام الدولي وعلاقته بالطبيعة المتغيرة للعلاقات الاجتماعية^(٧٩). انّ اهم ما يميز اطروحة (روسينبرغ Rosenberg) في هذه المقاربة تكمن في النقاط الاتية^(٨٠): ١) انتقاده الشديد للنظرية الواقعية في العلاقات الدولية، وخاصة ادعاء الواقعيين بمقدرتهم على بناء نظرية لاتاريخية ولازمنية (ازلية) ahistorical & timeless لتفسير العلاقات الدولية، لان ذلك من شأنه ان يحول دون تلبية حاجتنا لنظرية تسمح بتطوير فهم تاريخي للكيفية التي تطورت بها العلاقات الدولية.

٢) في الحقيقة انّ (روسينبرغ Rosenberg) ياتي بافكار جديدة تساهم في اعادة الاعتبار للاتجاه الراديكالي كحقل ديناميكي ونشط في مجال التنظير للعلاقات الدولية، وذلك في خضم انقاداته للاتجاه الواقعي، اذ انه وكما يجاد بديل عن الادراك

^(٧٩) محمد حمشي، المرجع السابق، ص ٢٦.

^(٨٠) المرجع نفسه، ص ٢٨.

الواقعي، فإنَّه يجادل بان نظرية العلاقات الدولية ينبغي ان تكون حساسة للطبيعة المتغيرة للسياسة الدولية، وبهذا فأنَّه يدعو الى ضرورة توسيع افق هذه النظرية لتصبح جزءا من نمط اوسع للعلاقات الاجتماعية. وعليه فأنَّه يعتقد بانَّ طبيعة علاقات الانتاج يصغ بنية المجتمع ككل، مناسفل الى اعلى، ويتجاوز بنية المجتمع ليشمل طبيعة العلاقات بين الدول، ايان شكل الدولة في حد ذاتها عرضة للتغير بتغير نمط الانتاج السائد في المجتمع، ونفسا لشيء ينسحب على طبيعة العلاقات القائمة بين الدول.

(٣) اعادة تقييم مفهومي السيادة والفوضى - المركزيين في التنظير الواقعي - على ضوء المنهجية الماركسية في التحليل. وتوصلالى ان هذين المفهومين يعكسان الخصائص المميزة لنمط الانتاج الرأسمالي. فالسيادة تعكس الكيفية التي اصبحت معها الدولة منفصلة عن عملية الانتاج في ظل الرأسمالية، وبذلك اصبحت تنجز دورا سياسيا محضا. ففي كل الحقب السابقة، كانت الدول تتدخل بشكل مباشر في عملية الانتاج، ولكن مع الانفصال الذي اصاب الحكم الاقليمي السيادي عن عملية الانتاج، اصبحت اماكن الشركات الرأسمالية ان تعمل على الصعيد الدولي بشكل أكثر استقلالية عن مراقبة وضبط الدولة. ويشير **Rosenberg** الى ان هذا الوضع لا يمكن فهمه بعيدا عن تحليل وفهم الترتيبات الاجتماعية الراهنة.

(٤) يجادل **Rosenberg** بان مفهوم (الفوضى) هيالخاصية، التي تكمن في جوهر خصائص نمط الانتاج الرأسمالي، إذ يكون الرأسماليون محصلوا الاجور - **wage-earners** في حالة تنافس مع بعضهم البعض، اذ انَّ الرأسمالية هي انحراف بامتياز للنشاطات الاقتصادية في القمة او التي تميل نحو القمة. بالنتيجة، تطفو هذه الرأسمالية ذات الطيران المرتفع فوق كثافة تحتية مزدوجة للحياة المادية وللاقتصاد المتجانس للسوق، انَّها تمثل منطقة الريح المرتفع^(٨١).

ويخلص **Rosenberg** الى ان الفوضى، خاصية مرتبطة بنمط الانتاج الرأسمالي وليست مجموعة من الظروف اللصيقة بنمط العلاقات الدولية السائدة، فهي موروث

(٨١) فرنان بروديل، المرجع السابق، ص ٩٢.

داخل العلاقات الاجتماعية الكامنة في نمط الانتاج الرأسمالي أكثر من كونها خاصة للعلاقات الدولية عبر التاريخ.

اهم الاستنتاجات

في نهاية هذا البحث نتوصل الى استنتاجات عديدة، يمكن تلخيصها في الآتي:-

١- تقوم الفكر الماركسي على مبدأ رئيسي تجسدها المقولة الشهيرة لمؤسسي الفلسفة الماركسية (كارل ماركس وفردريك انجلز) (أنّ الصراع الطبقي هو المحرك الرئيسي في تاريخ المجتمع البشري). وجاءت التقدم العلمي وما صاحبها من ثورة صناعية عظيمة، لتؤكد أكثر فأكثر هذا الصراع في المجتمع الصناعي الحديث والمعاصر، وكانت نتيجتها ظهور النظام الرأسمالي العالمي. وبهذا فقد لعبت التقدم العلمي دوراً رئيسياً ومهماً في حدوث الصراعات الناشئة في العلاقات الدولية، سيما في القرن العشرين، هكذا وباعتماد الراديكاليين في حقل العلاقات الدولية، علماً بمنهج الماركسي لمنهج التحليل ولتنظير، فقد وصلوا إلى المبادئ الأساسية لهم في هذا العقل وتمثل في أنّ الوابط الدولية تقوم أيضاً على التناقضات الطبقية التي تسمح بدراسة العلاقات الدولية من إزاء السياسة الخارجية لبلد ما مرتبط بصراع الطبقات الكائنة داخله.

٢- تعني مفهوم التخلف بوجود مجموعة من اعراض القصور في البنيان الاقتصادية، والعجز الملحوظ في اقتصادياتها على النهوض بمهامها، أمّا مفهوم (النامي)، فهو يشير إلى أنّ الدولة تظلّ معتبرة عموماً من الدول النامية، إذا فشلت في التلاؤم مع النموذج المصاغ حسب المفاهيم الغربية عن السياسة والمجتمع. إنّ أغلب منظري النموذج الراديكالي تؤمنون بأنّ النظام الرأسمالي العالمي هو الذي تقف وراء ظاهرة التخلف التي تعاني منها البلدان المتخلفة أو التابعة.

٣- لقد أدت السياسات والعمليات الاستغلالية من قبل دول الشمال أو لاقوا بالصناعية الكبرى تجاه البلدان المتخلفة أو النامية، أدت إلى ان تطالب الاعضاء الرئيسيين في حركة (دول عدم الانحياز) المجتمع الدولي إلى الانصاف لمطالبهم في إنهاء حالة التخلف وإقامة علاقات تتسم بالعدالة والتوازن بينهما. وفي هذا إشارة واضحة على مدى

تأثير حالة اللاتوازن في العلاقات الدولية، سيما العلاقات الاقتصادية منها، على جزء مهم من هذه العلاقات على صعيد النظام العالمي.

٤- كنتيجة وكرد فعل للسياسات والعمليات الاستغلالية للدول الكبرى، او ما تعرف بمجموعة دول السبع، التي تقود وتوجه النظام الرأسمالي العالمي في وقتنا الراهن، ان ظهرت الى سطح العلاقات الدولية نمط جديد من الفاعلين الجدد في السياسة الدولية تتمثل في العديد من المنظمات غير الحكومية والحركات اليسارية الراديكالية، ومن أمثلتها (الاتحاد العالمي للنقابات الدولية)، و(حركة فيا كامبيسينا) والتي هي احد اهم التجمعات المدنية الفلاحية المضادة للعولمة.

٥- تعد براديجم (الفوضى)، احد المقاربات الكرية الرئيسية للاتجاه الراديكالي، اذ ترى هذا البراديجم بأن دول الشمال الصناعي، بدلا لسعي نحو تشجيع التنمية في البلدان النامية والمتخلفة، فإنهم تنتهجون سياسة انتقائية، والتي بموجبها يتم التركيز على مساعدة الدول التي تشكل احزمة امنية للشمال.

الملخص

لقد تمكن الفكر الماركسي، ومن خلال الاتجاه الراديكالي، من إيجاد موقع قدم له في حقل العلاقات الدولية المعاصرة، كاحد الحقول الرئيسية والمهمة في علم السياسة المعاصرة. فكان هذا الحقل قد بقى خاليا من اتجاه او مدرسة تمثل الافكار والنظرية التي تعبر عن الفكر والفلسفة الماركسية. لكن ومع ظهور الاتجاه الراديكالي في العلاقات الدولية، اصبح افكار واء هذا التيار الفكري، تستخدم كمنهج ومعيار للتحليل والتنظير في القضايا و المسائل المتعلقة بالعلاقات الدولية.

فقد تمكن مفكروا ومنظروا الاتجاه الراديكالي من ابراز القضايا والمسائل التي تحظى باهتمام ودراسة الفكر الماركسي، مثل قضايا (الصراع الطبقي والفقر والاستغلال الطبقي والهيمنة الاقتصادية والتخلف والتنمية و.. الخ)، في مجال دراسة العلاقات الدولية. كذلك فإن هؤلاء المفكرين والمنظرون استطاعوا ان تثبتوا دور وتأثير هذا الفكر كمنهج تحليلي (براديجم) في العلاقات الدولية المعاصرة، لا يمكن الاستغناء عنه او غض

النظر عنه. وبهذا فإنّ هذا الاتجاه اعاد لهذا التيار الفكري والفلسفي، القوة والدور من خلال مساهماتها الجادة والعلمية في هذا الحقل المهم من حقول علم السياسة.

The abstract

Through the Radicalize paradigm, Marxist thought have come to obtain place in the contemporary international relation, as one mean and important field of contemporary political science. Then this field remained empty or without any paradigm or intendancy represented the idea and the theory in which expressing the Marxist thought and philosophy. But with appearing of Radicalize paradigm in international relation, then the thought and opinion of this idea stream, application such as a method and criterion for analysis and theorization in the issue and matter concerning to the international relation. Surly the Radicalize paradigm thinker & theorists are have come to present the issues and matters which acquire concerning and study the Marxist thought, like the issue of (class conflict, poorness, class exploitation, economic domination, underdevelopment and development...etc.), in the international relation sphere. As well as those thinkers & theorists had to be ability to verifying the role and impact of this idea as analyses method (paradigm) in the contemporary international relation, in which not to be ignoring or to disregarded. Thus this paradigm success to return to this idea stream, the strength and the role through its academic and serious participation in this important field of the political science.

